[السيدة بنت القائم بأمر الله[١]

التي كانت زوجة طُغْرُلْبَك، كانت كثيرة الصدقات، صلَّى عليها المستظهر، وهي عمَّة أبيه المقتدي، وجلس الوزير في العزاء ثلاثة أيام في الديوان، وحُملت إلى الرُّصافة]

السنة السابعة والتسعون وأربع مئة

فيها وقع الصلح بين الأخوة بركياروق [ومحمد وسنجر، على أن يكون اسمُ السلطنة لبركياروق][٢]، وضَرْبُ النُّوبة في الصلوات الخمس على بابه، وأن يكون لمحمد أرمينية وأذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل، وأن يكون سنجر على خراسان بحاله، وأن يكون لبركياروق الجبل وهَمَذان وأصبهان والري وبغداد وأعمالها، والخطبة ببغداد لبركياروق، وسنجر ومحمد يخطبان لنفوسهما، وسبب هذا أنَّ الفتن لمَّا طالت بعث بركياروق القاضي أبا المظفر[٣] الجرجاني إلى محمد شاه في رسالة[٤]، فصَعِد المنبر، ومحمد حاضر، فذكر ما أمر الله به من إصلاح ذات البَين، والنهي عن قطيعة الرحم، فأجاب محمد إلى الصلح، وتحالفا، ووصل الخبر إلى بغداد [فقطعت خطبة محمد، وأُعيدت خطبة بركياروق.

وفيها أخرج الواعظ الغزنوي من بغداد][٥] بسبب الفتن، فتوفي بإسفرايين.

[وفي رجب وردت مواكب الفرنج إلى اللاذقية مشحونة بالمقاتلة والتجار وغيرهم، ونزلوا على طرابلس مع صَنجيل، وأقاموا أياماً، وأمنوا أهلها، ودخلوها، ثم غدروا بأهلها فقتلوهم][٦]

---

(١) هذه الترجمة من (ب)، وهي في المنتظم ١٧/ ٨٣ .

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٨٧ .

(٣) في (خ): مسألة، والمثبت من (ب)

(٤) ما بين حاصرتين من (ب) والخبر في المنتظم ١٧/ ٨٥ .

(٥) ما بين حاصرتين من (ب) ، والخبر بنحوه في الكامل ١٠/ ٣٧٢ .

(٦) ما بين حاصرتين في (ب).

وفيها نزل الأمير سُكْمان بن أُرتُق صاحب ماردين والأمير جكرمش صاحب الموصل على رأس العين في شعبان عازمين على لقاء الفرنج وقتالهم، ونهض بيمند وطغْتِكري من أنطاكية إلى الرُّها بالعساكر لينجدا صاحبها، وعرف المسلمون، فساروا إلى قريب الرُّها، فصادفوهم والتقوا، فنصر الله المسلمين عليهم، فقتلوا منهم عشرة آلاف مابين راجل وفارس، وانهزم بيمند وطُغْتِكري في نفر يسير، فقَوِيَت قلوب المسلمين.

وفيها نزل بَغْدَوين صاحبُ القدس على عكَّا في البر والبحر في نيِّف وتسعين مركباً، فحصروها من جميع الجهات، وقاتل أهلها حتى ضعفوا، وكان واليها زهر الدولة الجُيوشي، فعجَز عنهم، فطلب الأمان له وللمسلمين فلم يُعطوه، وأخذوها بالسيف في رمضان ـ وقيل: في شعبان ـ وجاء زهر الدولة منهزماً إلى دمشق، فأحسن إليه طُغْتِكين، ثم مضى إلى مصر، وكان صَنجيل صاحب أنطاكية قد بنى على طرابلس حصناً ليأخذها به، وشحنَه بالرجال والأموال والسلاح، فخرج القاضي ابنُ عمار في عسكره في ذي الحجة وهجم هذا الحصن على غرة، فقتل مَنْ فيه ونهبه، وأخذ من المال والسلاح والمتاع شيئاً كثيراً وهدمه، وعاد إلى طرابلس سالماً غانماً.

وفيها خرجت الفرنج من الرُّها، وانقسموا قسمين، قسم قصدوا حرَّان، والآخر الرقة، فنزل سُكْمان من ماردين، وكان سالم بن بدر العقيلي في بني عقيل نازلاً على عين العروس، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، وأُسِرَ سالم، وكانت الدَّبَرة على الفرنج، فانهزموا وقُتِلَ منهم خلقٌ كثير.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن الحسين بن حَيْدرة

أبو الحسين، ويُعرَف بابن خُراسان، الطرابلسي، الشاعر، هجا فخر الملك بن عمار وأخاه، فأُمِرَ به فضرب حتى مات، ودفن بطرابلس، ومن شعره: [من الطويل]

[سقا اللهُ أرضاً نهرُها البحر طافياً وأرجاؤها من كل ناحيةٍ خُضْرُ

جداولُها خمرٌ ومِسْكٌ تُرابُها وأشجارُها البيضُ الرَّعابيبُ[١] والسُّمْرُ
أُرَجِّي اصطباراً عن هواها وطيبِها وأرجو ولكِنْ مايُطاوعني الصَّبرُ

وقال: [من البسيط]

أحبابنا غيرُ زُهدٍ في محبَّتكُمْ كَوْني بِحمْصَ وأنتمْ في طرابُلسِ
إنْ زُرْتُكُمْ فالمنايا في زيارتِكُمْ وإن هجرتُكُمُ فالهَجرُ مُفترِسي
ولستُ أرجو نجاحاً في زيارتكمْ إلَّا إذا خاض بحراً من دمي فرسي
وأنثني ورماحُ الخطِّ قد حكمَتْ في كلِّ أرْوَعَ لا وانٍ ولا وَلِسِ[٢]

وقال: [من الطويل]

جزى اللهُ عنَّا النَّيْربَ الفردَ صالحاً لقد جمع المعنى الذي يُذهبُ الفِكرا[٣]
خرَجْنا على أنَّا نقيمُ ثلاثةً فطابَ لنا حتى أقمنا بها عشرا

إسماعيل بن علي[٤]

ابن الحسن بن علي، أبو علي الجاجَرْمي، الأصم، النيسابوري، ولد سنة ست وأربع مئة، وطاف البلاد، وعاد إلى نيسابور فتوفي بها في المحرَّم.

وكان واعظاً، زاهداً، ورعاً، صدوقاً، حسن الطريقة، ثقةً.

دُقاق بن تُتُش[٥]

أبو نصر، شمس الملوك، صاحب دمشق، وليها بعد قتل أبيه تاج الدولة تُتُش سنة سبع وثمانين وأربع مئة، وقام بأمره ظهير الدين أتابك، وتزوَّج والدته.

وقال ابن القلانسي: في هذه السنة عرض لدُقاق مرضٌ تطاول به، ووقع معه تخليط في الغذاء، فأوجب انتقاله إلى علة الدق، فلمَّا وقع اليأس منه تقدمت إليه والدتُه الخاتون صفوة

(١) الرَّعابيب؛ جمع رُعبوب: وهي البيضاء الحلوة الناعمة. المعجم الوسيط (رعبب).
(٢) لا وانٍ ولا ولس: لابطيء ولا سريع.
(٣) ما بين حاصرتين من الشعر زيادة من (ب).
(٤) المنتظم ١٧/ ٨٧.
(٥) تاريخ دمشق ٧/ ٤٦٧-٤٦٨ و١٧/ ٣٠٤ وينظر السير ١٩/ ٢١٠

الملك بأن يوصي، فنصَّ على طُغْتِكين في حضانة ولده الصغير تُتُش إلى حين يكبر، وتوفي في الثاني والعشرين من رمضان، ودُفِنَ على الشرف الشمالي بدمشق بقبة الطواويس، فشرع طُغْتِكين في الإحسان إلى العساكر والرعية، وأطلق الأموال، وأكثر الصدقات، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وقمع المفسدين، فاستقامت له الأمور، وأجمع على طاعته الجمهور، وكان دُقاق قبل وفاته قد سيَّر أخاه أرتاش إلى بعلبك، وأمر أن يُعتقل في الحصن عند واليه فخر [الدولة كمُشْتِكين التاجي، فرأى طُغْتِكين في حكم ما يلزمه لأولاد تاج الدولة أن يراسل كُمُشْتِكين في إطلاق أرتاش][1] وإنفاذه إلى دمشق، فأطلقه الخادم، فتلقَّاه طُغْتِكين وأكرمه، وأقام في منصب أخيه دُقاق، وتقدم إلى الأمراء بطاعته، وأجلسه في دَسْت المملكة لخمسٍ بقين من ذي الحجة، ولُقِّب أرتاش مجير الدين، ثم استوحش أرتاش من طُغْتِكين ومن والده دُقاق، وأوقعت أمُّه في نفسه الخوف منهما، وأشارت عليه بالعود إلى بعلبك، فخرج من دمشق في صفر وقد قرَّر مع أيتكين الحلبي صاحب بصرى الفسادَ، وجَمْعَ العساكر، وقتالَ طُغْتِكين، واجتمعا بحوران، وراسلا بَغْدوين صاحب القدس، وتوجَّها إليها، وأقاما عنده مدة بين الفرنج يُحرِّضانه على المسير إلى دمشق، ويبعثانه على إفساد أعمالها، فلم يحصلا منه على طائل، فتوجَّها إلى ناحية الرحبة في البرية، وقضى الله بوفاة تُتُش بن دُقاق، وبسط طُغْتِكين العدلَ، وأفاض الإحسانَ، ورخصت الأسعار، وكثرت الأدعية لطُغْتِكين. وقيل: إنَّ أم دُقاق سمَّته في عنقود من عنب، أدخلت فيه إبراً مسمومة، وبعثت به مع جارية إليه، ثم ندمت، وأرسلت إلى الجارية: لا تفعلي، وقد مات.

علي بن عبد الرحمن بن هارون[2]

أبو الخطاب بن الجراح، ولد سنة عشر وأربع مئة، وكان فاضلاً، أديباً، من أهل بيت الفضل والرياسة، وصنَّف قصيدتين في القراءات، سمَّى إحداهما بـ«المكملة» والأخرى بـ«المستجدة».

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) المنتظم ١٧/ ٨٨ ، والكامل ١٠/ ٣٧٧-٣٧٨، ومعجم الأدباء ١٢/ ١٩٦-٢٠٥ وتنظر باقي المصادر في السير ١٩/ ١٩٨ .

وكانت وفاته في ذي الحجة، ودفن بباب أبْرز عند أبي إسحاق الشيرازي، وكان صدوقاً ثقة.

العلاء بن الحسن[١]

ابن وهب بن مُوصَلايا، أبو سعد، الكاتب، الفاضل، خدم في كتابة الإنشاء للخلفاء خمساً وستين سنة.

وكان نصرانيا، فأسلم في سنة أربع وثمانين على يد المقتدي، وناب في الوزارة في أيامه وأيام المستظهر نوباً كثيرة، وكان كريمَ الأخلاق، طاهرَ اللسان، قال بعض أصحابه: شتمتُ يوماً غلاماً لي فوبَّخني وقال: أنتَ قادر على تأديب الغلام أو صَرْفه، فأما الفواحش والخنا والقذف فإياك والمعاودةَ إليه، فإنَّ الطبع يسرق من الطبع، والصاحب يُستدَلُّ به على المصحوب.

وكانت وفاته فجأة، وكان قد أضرَّ قبل موته، فكان يُملي على ابن أخيه أبي نصر إلى أن مات، وكان عميد الدولة ابن جَهير يثني عليهما ويقول: هما يمينا الدولة وأميناها، ولايُبرم أمراً دونهما، ومن شعر العلاء: [من الخفيف]

[يا خليليَّ خلِّياني ووَجْدي ... فمُلامُ العَذولِ ما ليس يُجْدي
ودعاني فقد دعاني إلى الحُكْـ ... ـم غريمُ الغرام للدَّين عندي
فعَساه يرقُّ إذْ ملَكَ القَلْـ ... ـبَ بنقدٍ من وصلِهِ أو بوعدِ
ثمَّ من ذا يُجيرُ منهُ إذا جا ... ر ومَنْ ذا على تعديهِ يُعدي

وقال:] [من الطويل]

أحِنُّ إلى روضِ التَّصابي وأرتاحُ ... وأمتحُ[٢] في حوض التَّصافي وأمتاحُ
وأشتاقُ ريماً كلَّما رُمْتُ صَيْدَهُ ... تصُدُّ يدي عنهُ سيوفٌ وأرماحُ

(١) المنتظم ١٧/ ٨٩، والكامل ١٠/ ٣٧٧ـ٣٧٨، ومعجم الأدباء ١٢/ ١٩٦ ـ ٢٠٥. وتنظر باقي المصادر في السير ١٩/ ١٩٨.

(٢) من متح؛ أي: أخرج الماء من البئر بالدلو.

غـزالٌ إذا مـالاحَ أو فـاحَ نـشـرُهُ تُـعـذَّبُ أرواحٌ وتَـعْـذُبُ أرواحُ
وكـرخـيَّـةٍ[1] عـذراءَ يُـعْـذَرُ حِـبُّـهـا ومِـنْ زَنْـدِهـا فـي الـدَّهـرِ تُـقْـدَحُ أقـداحُ
إذا جُلِيَتْ في الكأسِ والليلُ ما انجلى تـقـابَـلَ إصـبـاحٌ لـديـكَ ومـصـبـاحُ
يـطـوفُ بـهـا سـاقٍ يـسـوقُ جِـمـالَـهُ نَـفَـاقٌ لإفـسـادِ الـهـوى فـيـه إصـلاحُ
بـه عُـجْـمـةٌ فـي الـلَّـفـظِ تُـغْـري بـوَصْـلِـهِ وإن كـانَ مـنـهُ بـالـقـطـيـعـةِ إفـصـاحُ
وغُـرَّتُـهُ صـبـحٌ وطُـرَّتُـه دُجًـى ومَـبْـسِـمُـهُ دُرٌّ وريـقـتُـهُ راحُ[2]
أباح دمي مُذْ بُحْتُ في الحبِّ باسمِهِ وبالشَّجْوِ من قبلي المُحِبُّونَ قد باحوا

ومن نثره: أمطاه اللهُ غوارِبَ[3] العلا وصهواتها، وأعطاه مطالبَ المنى وشهواتِها.

ومنه: كتابنا وملابس السلامة علينا ضافية سابغة، وموارد السعادة صافية سائغة.

السنة الثامنة والتسعون والأربع مئة

فيها تُوفِّي بركياروق، ودخل السلطان محمد شاه بغداد وخطب له بالسلطنة، ثم خرج منها في شعبان إلى الجبل.

وفيها مرض أتابك طُغْتِكين مرضاً خاف منه على نفسه، فكاتب الأميرَ سُكمان بن أُرْتُق صاحب ماردين يستدعيه إلى دمشق في عسكره ليوصي إليه في حماية دمشق وأهله وولده، فجاء سُكْمان فنزل القريتين، فلام طُغْتِكينَ أصحابُه، وقالوا: تُعطي ابنَ أُرْتق دمشق وتُخرِجُها عن ولدك وولد مولاك، وكيف يكون حالنا؟ أوليس قد عرفت أتْسِز لمَّا استُدعي تاج الدولة لنصرته كيف قتله واستولى على الشام، فانتبه طُغْتِكين من غفلته وندم، فأرسل إليه: تثبَّتْ مكانك، فأنا خارجٌ إلى خدمتك. فاتَّفق أنَّ سُكْمان مرض تلك الليلة مرضاً شديداً، وأصبح ميتاً، فأخذه أصحابُه في تابوت، ورحلوا إلى ماردين، فسُرَّ طُغْتِكين.

---

(١) كرخيَّة؛ أي: منسوبة إلى الكرخ: وهي بلدة نواحي بغداد، وقد تقدمت كثيراً.

(٢) هذا البيت من (ب)، وهو في معجم الأدباء ١٢/ ١٩٩. والرَّاح: الخمر.

(٣) الغوارب؛ جمع غارب: وهو ما بين السنام والعنق. تاج العروس (غرب).